

المسحوق الرابع

نجدني الشعر العزبي

ما قيل في نجد من الشعر شيء لا يحصى كثرة ، وسنذكر هنا بعض ما
وجدناه من هذا الشعر في الأغاني ومعجم البلدان والحامسة وتاريخ نجد للألوسي
وغيرها من الكتب .

تمتع من شميم عرار نجد

قال الصمة بن عبد الله التشيري

بنا بين المنيفة فالضهار	« أقول لصاحبي والعيس تهوي ^(١) »
فأبعد العشية من عرار	تمتع من شميم عرار نجد
وربما روجه بعد القطار	ألا يا جذا نفحات نجد
وأنت على زمانك غير زاري	وأهلك اذ يحل الحمي نجد
بانصاف لمن ولا سرار ،	شهور ينقضين وما شعرنا

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

وقال عبد الله بن الدمينه الخثعمي

لقد زادني مسراك وجدا على وجد	ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
على فتن غصّ النبات من الرند	إن هتفت ورقاء في رونت الضحى
جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي	بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن

١ - . وفي رواية : تخدي . والعرار بهاء البرء نبت طيب الريح ، قال ابن بري هو النرجس
البري .

وقد زعموا ان الهب اذا دنا
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار ليس بنافع

وقالت رامة بنت حصين الأمدية

« ألام على نجد ومن يك ذا هوى

وقال جرير بن عطية بن الحطفي :
هوى بتهامة وهوى بنجد

وقال مجنون ليلى :

ألا ليت شعري عن عوارضي قبا
وهل جارثانا بالنيل إلى الحمى
وعن علويات الرياح إذا جرت
وعن أقحوان الرمل ما هو فاعل

وقال الحطيئة :

ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند
وان التي نكبتها عن معاشر
أنت آل شماس بن لأي وإلما
فأن الشقي من تعادي صدورم
يسوسون أحلاماً بعيداً أقاتها
أقلوا عليهم ، لا أباً لأبيكم ،
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البناء
وان كانت النعمى عليهم جزوا بها ،
وان قال مولام على كل حادث
مطاعين في الهيجا ، مكاشيف للدجى

يلّ وأن النأي يشفي من الوجد
على أن قرب الدار خير من البعد
إذا كان من نهواء ليس بذى ود ،

يهجه للشوق شتى يرابعه . ،

فيلتمّ التهائم والنجود

لطول الليالي هل تغيرتا بعدي
على عهدنا أم لم تدوما على العهد
بريع الخزامى هل نهب على نجد ؟
إذا هو أسرى ليلة بثرى جعد

وقد جزن غوراً واستبان لنا نجد
علي فضاب أن صدوت كما صدوا
أقام بها الأحلام والحب العدّ
وذو الجد من لانوا اليه ومن ودّوا
فان غضبوا جاء الحفيظة والجد
من اللوم ، أو سدّوا المكان الذي سدوا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا !
من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا !
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد !

وقال الصمة بن عبدالله :

حننت إلى « ربا » ونفسك باعدت
قفا ودعا « نجدا » ومن حل بالحمى
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربي
وليست عشبات الحمى برواجع
ولما رأيت البشر أعرض دوننا
تلفت نحو الحمي حتى وجدتني
وقال جرير :

أحب ترى نجد ، وبالغور حاجة
وقال المرار الفقعسي :

إذا تركت وحشة النجد^(١) لم يكن
لعينيك مما تشكوان طيب

اشعار الأعراب في نجد

أورد « معجم البلدان » بعض ما قاله الأعراب من الشعر في نجد ، وهو شيء
لا يحصى كثرة .

قال أعرابي :

أكرر طرفي نحو « نجد » وانني
حينئذ إلى أرض كأن توابها
بلاد كأن الأقحوان بروضه
أحنّ إلى أرض الحجاز وحاجتي
وما نظري من نحو « نجد » بنافع
إليه وإن لم يدرك الطرف أنظر
إذا أمطرت عود ومسك وغبر
ونور الأفاقي وشي برد محتر
خيام « بنجد » دونها الطرف يقصر
أجل لا ، ولكنني إلى ذلك أنظر

١ - استشهدوا بهذا البيت على أنهم يستعملون كلمة « نجد » معرفة بال : النجد .

أفي كل يوم نظرة ثم عبرة
متى يستريح القلب أما بجاور

وقال أعرابي

فيا حبذا «نجد» وطيب توابه
وربيع صبا «نجد» إذا ما تنسمت
بأجرع بمراع كأن رياحه
وأشهد لا أنساه ما عشت ساعة
ولا زال هذا القلب مسكن لوعة

وقال أعرابي آخر :

رأيت بروقاً داعيات إلى الموى
إذا ذكر الأوطان عندي ذكرته
ألا حبذا نجد ومجرى جنوبه
أجيدك لا ينسبك نجداً وأهله

وقال أعرابي آخر :

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي
ألم تر أن الليل يقصر طوله

وقال أعرابي من بني طهية :

سمعت رحيل القافلين فشافني
أحنّ إلى نجد وإني لآيس
تعزّ فلا نجد ولا دعد فاعترف

وقال نوح بن جرير الخطفي :

ألا قد أرى أن المنايا تصيبني

لعينيك مجرى مائها بتحدّر
بجرب ، وأما فاذح يتذكّر؟!

إذا هضبه بالعشي هواضبه
ضحى، أو سرت جنح الظلام جنائبه
سحاب من الكافور، والمسك شائبه
وما انجاب ليل عن نهار يعاقبه
بذكراه حتى يترك الماء شاربته.

فبشرت نفسي أن نجداً أشمها
وبشرت نفسي أن نجداً أقيمها
إذا طاب من برد العشي نسيمها
عباطل دنيا قد تولى نعيمها!

ويجلو ذرى الظلماء ذكرتني نجدا
بنجد وتزداد الرياح به بردا

فقلت اقرأوا مني السلام على دعد
طوال الليالي من قفول إلى نجد
بهجر إلى يوم القيامة والوعد

فما لي عنهن انصراف ولا بُدّ

فذا العرش لا تجعل ببغداد ميتي
بلاذ نأت عنها البواغيث والتقي
ولكن بنجد حبذا بلداً نجد
بها العين والآرام والعفر والربد

وقال اعرابي آخر :

ألا هل لمحزون ببغداد نازح
كأنني ببغداد وإن كنت آمناً
إذا ما بكى جهد البكاء مجيب
طريد دم نائي المحل غريب
فيا لائي في حب نجد وأهله
أصابك بالأمر المهم مصيب

وقال اعرابي آخر :

تبدلت من نجد ومن مجله
وأصبحت في أرض البنود وقد أرى
حمة جند ، ما الأعارب والجند ؟
زماناً بأرض لا يقال لها بند !^(١)

وقال اعرابي آخر :

خليلي هل بالشام عين حزينة
وهل بائع نفساً أو الأسي
بكي على « نجد » لعلني أعينها !
إليها فأجلاها بذاك حينها
وأسلمها الباكوت إلا حمامة
مطوقة قد بات عنها قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة
يكاد يدنيها من الأرض لينها
نظرت بعيني مؤنس فلم أكد
أرى من سهيل نظرة أستيها
فكذبت نفسي ثم راجعت نظرة
فهيج لي شوقاً « لنجد » يقينها !
ألا يا حبذا « نجد » وطيب ترابه
وغلظة دنيا أهل نجد ، ودينها .

وقال اعرابي آخر :

سقى الله « نجداً » من ربيع وصيف
بلى إنه كان للعيش مرة
وماذا ترجى من ربيع سقى « نجداً »
وركناً بها والبيض منزلة حمداً

١ - البنود بأرض الررم كالأجناد بأرض الشام والكور بالعراق والمخالف في اليمن .

وقال اعرابي آخر :

ومن فرط إشفافي عليك يسرني وأشفق من طيف الخيال اذا سرى
وأرضى بأن تقدبك نفسي من الردى مذاهب شتى للمحبين في الهوى

وقال اعرابي آخر :

لعمري لمكاء يغني بقفرة أحب إلينا من هديل حمامة
بعلياء من نجد علام شرقا ومن صوت ديك هاجه الليل أبلغا

وقال عبد الرحمن بن دارة :

خليلي ان حانت بحمص منيتي فلا تدفنا في وارفعاني إلى نجد !

وأدخل على عبد الملك بن مروان عشرة من الخوارج فأمر بضرب رقابهم وكان
يوم غيم ومطر ورعد وبرق ، فضربت رقاب تسعة منهم ، وقُدِّمَ العاشر ليضرب
عنقه فبرقت برق ، فأنشأ يقول :

تألت البرق نجدياً فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول
بذلة العقل حيران بمعتكف في كفه كجباب الماء ملول
فقال له عبد الملك : ما أحسبك إلا وقد حننت إلى وطنك وأهلك ، وقد
كنت عاشقاً !

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين !

قال : لو سبق شعرك قبل أصحابك ، لو هبناهم لك ! خلوا سبيله !
فخلوه .

وقدم بعض أهل هجر إلى بغداد فاستوبأها فقال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة وأزداد من نجد وصاحبه بعدا
ألا إن بغداداً بلاد بغضة إلي وإن كانت معيشتها رغدا
بلاد تهبّ الريح فيها مريضة وتزداد خبثاً حين تمطر أو تندى

اليامة في الشعر

ورد اسم اليامة كثيراً في الشعر . فالأعشى يذكر قصة زرقاء اليامة . وعمرو ابن كاثوم يذكر بلاد اليامة في معلقته فيقول:

تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلاً حدينا
وأعرضت «اليامة» واشمخرت كأسيا ف بأيدي مصليتنا
وقالت شاعرة بدوية ، لما ذكر لها اسم اليامة :

تذكرني بلاداً خير أهلي بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الإله أجش صوبا يسع بدرته بلاد «اليامة»

ومن قصيدة لابراهيم بن علي بن هرمة يمدح فيها السري بن عبد الله^(١):

(فقل للسري، الواصل البرذي الندي مدحاً إذا ما بثّ صدق قائله
نقى الظلم عن أهل اليامة عدله فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمن بعد خوف وشدة بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خدنه ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا أرض حجر وغيرها من الأرض حتى عاش بالقبل آكله
وأنت توجي للذي أنت أهله وتنفع ذا القربى لديك وسائله .)

وقال يحيى بن طالب الحنفي ، وهو من اليامة ، اضطر الى النزوح عنها الى

بغداد :

أقول لموسى والدموع كأنها جداول فاضت من جوانبها نجري
الاهل لشينخ وابن ستين حجة بكى طرباً، نحو «اليامة» من عذر؟
إذا ارتحلت نحو اليامة رفقة دعاك الهوى واحتاج قلبك للذكر
تغربت عنها كارهاً وهجرتها وكان فراقها أمراً من الصبر^(٢)

١ - الأغاني .

٢ - معجم البلدان ، تحت اسم « قرقرى » .

شعراء نجد في الجاهلية وأول الإسلام

الحديث عن شعراء نجد في الجاهلية ، وأوائل الإسلام ، حديث طويل ، لأنه يكاد يكون حديثاً عن الشعر العربي كله ، أو جلّه .
وليس يتسع هذا الكتاب لمثل هذا الحديث الطويل ، فليرجع من أراد التوسع فيه إلى كتب الأدب العربي . وحسبنا أن نقول ، هنا ، إن الشعر العربي يبدأ في نجد واليهامة ، منذ عهد طسم وجديس ، وقد رأينا في الفصول السابقة شعراً لعفيرة وزرقاء اليهامة ، ولكننا نشك كثيراً في صحة هذا الشعر ، لأنه لا يختلف في شيء عن الشعر الأموي أو العباسي ، إلا أن يكون كلام « طسم وجديس » ، العاربة ، فيأزهموا ، ككلام من يسميهم المؤرخون : « المستعربة » .. ولغتهم كلغة القرآن ، وبذلك تنقلب الآية فيصبح العاربة هم : المستعربة !

شعراء المعلقات العشر

أول ما يلفت النظر ، بل ويبهز .. ان شعراء الجاهلية الأوائل ، أصحاب المعلقات العشر ، كلهم من نجد ، فان كان اثنان أو ثلاثة منهم لم يولدوا في نجد فقد عاشوا فيها وتغنوا بمرابعها .
وأولهم : امرؤ القيس ، ابن حجر ، ملك كندة ، الذي أضع العرش ، ولكنه لم يضع عرش .. الشعر ، فلقبوه : بأمير الشعراء .
يقولون إن امرأ القيس يمني ، قحطاني ، لأنه من كندة . ويقول « ابن بلهيد » إن بلد امرئ القيس : ذو جرة ، قرية بخلاف « السكاسك » في اليمن !
والحقيقة هي أن امرأ القيس « نجدي » ، بكل معاني الكلمة . فقد ولد في

نجد ، وأبوه ولد في نجد ، وجده ولد في نجد ، وأمه في أصح الروايات ربيعة ، من نجد ، فماذا يريدون من الرجل ، أكثر من هذا ، حتى يكون نجدياً ؟
فإن قيل : أصل قبيلته من خارج نجد . قلنا : ما أكثر القبائل التي جاءت إلى نجد ، من خارج نجد ، وأصبح أبناؤها نجديين !

إن لغة امرئ القيس لغة أهل نجد ، والبلدان والمياه والمراضع التي ذكرها في شعره هي أماكن معروفة في نجد ، أما ما نسب إليه من الشعر أشده إلى اليمن ، فهو أضعف الشعر شهاً بشعره ، وأقله ، وأدناه قيمة ، كقوله :

(دمون ، اننا معشر يمانون وإننا لأهلنا محبوبون) !!..

وسواء أصبح هذا الشعر أم لم يصح ، فإنه لا يخرج امرأ القيس من نجديته ، مجرد أن آباءه : قحطانية الأصل ، بل هناك من يذهب إلى القول أن « كندة » نفسها عدنانية !

اشتهر امرؤ القيس بعلقته المشهورة ، التي مطلعها :

« قلنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل ،
وكان شعره أول الأمر ، في الغزل والخمر والوصف ونحو هذا ، فلما بلغه مقتل أبيه ، حرم على نفسه الخمر حتى يدرك ثأره ، وقال في رواية ، قوله المشهور :
اليوم خمر ، وغداً أمر . لا صحو اليوم ، ولا شرب غدا .
وأشده في رواية ثانية :

« خلي لي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد ، إذا كان ما كان ، مشرب ،
وأصبح أكثر شعره ، بعد ذلك ، مفاخرة ومدحاً وهجاء ونحو ذلك . وانطلق امرؤ القيس يجمع الجموع ، ويستنصر العشائر على قتلة أبيه ، فنصرته قبائل بكر ، ونعم ، فقال في نهم :

« نهم بن مر ، وأشياها وكندة حولي جميعاً صبر
إذا ركبوا الحيل واستلأموا فخرقت الأرض واليوم قر ،
ولما أدرك ثأره من بني أسد وحلفائهم رضي ، فقال :
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

حلت لي الحمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
وطلبه المنذر بن ماء السماء ليقته كما قتل إخوته ، فهرب منه ، ولجا أول الأمر
الى زعيم من «ميم» هو المعلق ، فأجاره ، فقال فيه :

« كأني اذ نزلت على المعلقى نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلقى بقدر ، ولا الملك الشامي ! »

ثم لجا الى الروم ، وهناك أصيب بمرض ، ومات في طريق عودته ، وقيل إن
قصر الروم قتله لتشبيهه بزوجه ، وسموه : ذا القروح ، لقروح انتشرت في بدنه
وسببت وفاته ، وقيل إنها الجدري .

ويأخذ عليه بعض المؤرخين التجاهه الى الروم واستنصاره بهم ضد قومه العرب ،
ويعدون ذلك خيانة ، ويقول قاموس « المنجد » إن « جوستيان » ولاء إمارة
فلسطين ..

وأرجح الظن أن قصته مع جوستيان ما تزال غامضة ، وإن امرأ القيس الذي
ولاه جوستيان على فلسطين هو رجل آخر ، يحمل اسم امرئ القيس ، ومن هناك
حصل الالتباس !

وأما استنجاد امرئ القيس بالروم ، فذلك لأن خصمه المنذر كان ينصره
الفرس .

إن شعر امرئ القيس مشهور ، ومنزلة صاحبه بين الشعراء معروفة ، ولم
نذكره هنا الا للتنويه « بنجديته » ، ولتصحيح بعض أخباره التي يكثر فيها الخطأ
والتشويه .

وشعراء المعلقات العشر ، غير امرئ القيس ، هم :

١ - طرفة بن العبد ، صاحب معلقة :

« لحولة أطلال ببرقة نهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ،

٢ - الأعشى - ميمون بن قيس - صاحب معلقة :

ودع هريرة إن الركب مر نحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

٣ - الحارث بن حلزة الشكري ، صاحب معلقة :

آذنتنا بينها أسماء رب ثورٍ يملُ منه الثواء .
وهؤلاء الشعراء الثلاثة من بكر بن وائل .

وطرفة عند بعض النقاد ، أشعر الناس ، وعند بعضهم أشعرهم واحدة ، أي بمعلته . وقد قتل الملك عمرو بن هند ، وكان عمره عند وفاته ستاً وعشرين سنة . وكانت أخته شاعرة ، قامت برثائه ، وخاله هو الشاعر الكبير : المتلمس .

٤ - عمرو بن كلثوم ، صاحب معلقة :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خور الأندرينا
وهو من تغلب بن وائل ، وكاف من فرسان العرب وقتا كها ، ومن أشهر أبياته :

وقد علم القبائل غير فخر	إذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا العاصمون إذا أطعنا	وأنا الغارمون إذا عصينا
وأنا المانعون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا أتيننا

*

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطيناً
إذا بلغ الفطام لنا وليد تحزّ له الجبار ماجديننا
وبذلك يكون أربعة من شعراء المعلقات من ربيعة :

٥ - عنزة بن شداد العبسي ، صاحب معلقة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟
٦ - ليبد بن ربيعة ، صاحب معلقة :

عفت الديار محلها فقامها بنى تأبد غولها فرجامها

٧ - النابغة « زياد بن عمرو » ، صاحب معلقة :

بادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

٨ - زهير بن أبي سلمى ، صاحب معلقة :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتئلم

٩ - عبيد بن الأبرص ، صاحب معلقة :

أقفر من أهله ملحوب فالتطبيقات فالذنوب

وهؤلاء الشعراء الخمسة ابتداءً من عنتره هم : مضر بن. أربعة من قيس عيلان ،
وواحد من أسد بن خزيمه . (وهو عبيد) .

وأشهر هؤلاء الشعراء : عنتره ، وقد بلغ من شهرته أن سيرته ، وهي قصة
شعبية ، بل ملحمة طويلة جداً ، تتخللها أبيات من شعره ، كانت تنشد في الندوات
الخاصة والعامة ، في مجالس متعاقبة يقبل عليها الناس مثل إقبالهم اليوم على حضور
المسرحيات الكبرى وأكثر ، وقد ترجمت « سيرة عنتره » إلى أكثر اللغات
الأوربية ووضعت مسرحيات وقصص وأغان باسم عنتره . وعنتره يستحق هذا
التقدير ، لأنه كان فارساً وشاعراً وجواداً كريماً ، بلغ الذروة في ولائه لقومه ،
وحبه الرفيع « لبله » ، ويعتبر عنتره أول ثائر كبير على « شبه اللون » أو ما
نسميه اليوم « التمييز العنصري » .

وقيل ان النبي (ص) قال: ما وصف لي أعرابي قط فأحييت أن أراه إلا عنتره !
ولعنتره أبيات مشهورة ، ذهب بعضها مذهب الأمثال ، لكثرة ما يستشهد بها
الناس في كلامهم ، ومنها :

ولا ينال العلا من طبعه الغضب

لا يحمل الحقد من تعلو به الرب

*

قصيرة عنك فالأبام تنقلب

ان كنت تعلم يا نعمان أن يدي

*

وقد بلي الحديد وما بليت

خلقت من الحديد أشد قلبا

*

تخر له أعادينا سجودا

إذا بلغ اللطام لنا صبي

*

يداوي رأس من يشكو الصداعا

وسلمي كان في الهيجا طبيباً

*

لا تسقي ماء الحياة بذلة بل فاسقي بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

*

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تشرب من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم ا

شاعرات نجد

ليس شعراء المعلقات ، الذين يدرس شعرهم في البلاد العربية كلها ، هم وحدهم رؤساء الشعر في نجد قديماً ، فهناك شعراء غيرهم كثير ، ولدوا وعاشوا في نجد ، يسامونهم أو يأتون بعدهم في المرتبة ، ومن أشهرهم ، في الجاهلية : « المهلهل » ، وفي الإسلام : « جرير » .

ولم يكن الشعر في نجد قاصراً على الرجال ، فقد كان فيها شاعرات مجيدات ، منهن : صفية الشيبانية - التي أجارت « هند بنت النعمان » على كسرى ، ولها ذكر في موقعة « ذي قار » - ومهاضر السلبية ، وممية العبيدة ، وغيرهن كثيرات ، وبلاحظ أنه كانت في نجد أسر « شعرية » أو شاعرة ، كان الشعر سليقة في رجالها ونسائها على السواء ، كأم الأغر أخت المهلهل ، وسلمى بنته ، والخرنق أخت الشاعر طرفة .

ومن الشعر الذي يتغنى به حتى اليوم لامرأة من نجد ، ما قالته ليلي العفيفة بنت لكيز ، وكانت فتاة بارعة الجمال ، فذهب بها أبوها إلى فارس ، فأعجب بها ملك من ملوك الفرس ، فأراد بها سوءاً ، فتمنعت ، فاضطهدها وحبسها ، فكتبت إلى ابن عم لها بكري يدعى « البراق » ، قصيدة نصف فيها حالها لينقذها ، ففعل ، وبما جاء فيها :

(ليت للبراق عيناً فتري ما آلاقي من بلاء وعنا
يا كلياً وعقبلاً اخوتي يا جنيداً أسعدوني بالبكا
عذبت أختكم يا ويلكم بعذاب النكر صعباً ومسا

غلولني ، قِيدوني ، ضربوا ملمس العفة مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني ومعي بعض حشاشات الحيا
فأنا كارهة بغيكم ويقين الموت شيء يرتجى (النخ .

وللشاعرة كرمة بنت ضلع هذه الأبيات المشهورة ، التي تنسب أحياناً الى
غيرها :

نحن بنات طارق نمشي على النخارق
مشي القطبي البارق المسك في المفارق
والدر في الخانق ان تقبلوا نعائق
أو تدبروا تفارق فراق غير وامق
عرس المولتي طاق والعار فيه لاحق !

وكانت النساء ينشدن هذه الأبيات في الحروب للحض على الثبات والإقدام .

أيام العرب وبلدان نجد وامكنتها في الشعر

كما تغنى الشعراء بنجد في جملتها ، تغنوا كذلك بكثير من بلدانها وأما كنتها
التي لا يزال أكثرها معروفاً بأسمائها القديمة حتى اليوم .

وهذا الحديث يسرقنا الى الكلام عن « أيام العرب » ، التي خلدها في ملاحمهم
وأشعارهم ، فان أكثرها يدور في بلاد البجامة ونجد ، ويحمل أسماء أمكنة فيها ،
ومن أعظم أيام القبائل العربية في نجد على غيرها : يوم « ذي قار » الذي غلبوا فيه
العجم ، ويوم « حزازى » الذي فضوا به جموع اليمن وهزموها .

ومن أشهر أيام القبائل العربية ، فيما كان بينها من الوقائع : الوقائع بين تغلب
وبكر ، وبين عيم وحيفة وبين عبس وذبيان ، النخ ..

حروب « البسوس »

عرفت الوقائع بين تغلب و بكم ، باسم حرب « البسوس »^(١) .
وكانت تغلب ظاهرة في أيامها الأولى - الذنائب ، واردات ، عنيزة - على
بكر ، ثم غلبتها بكر في يوم « قضة » ويوم « تحلاق اللهم » .
والى ذلك يشير طرفة العبد بقوله :

سائلوا عنا الذي يعرفنا ما لقوا في يوم « تحلاق اللهم » !
يوم تبدي البيض عن أسواقها وقلف الحبل أنواع النعم
وقيل أن تغلب لو بقيت مستمرة في حروبها لأفنت الناس ، ولذلك قال بعضهم:
لو أبطأ الاسلام ، لأكلت بنو تغلب الناس !
لا نريد هنا التبسط في الحديث عن أيام العرب ، فليرجع الى كتب الأدب
والتاريخ للوقوف عليها واستقصاء ما يتصل منها بنجد خاصة ، وهي تراث ملحمي
رائع جداً .
وحسبنا الآن أن نورد ، على سبيل المثال ، طائفة من الشعر القديم فيها ذكر
لأماكن وبلدان معروفة في البصرة ونجد :

١ - كان السبب الذي هاج الحروب الموصولة بين تغلب وبكر ، فيما روي ، أنه كان
لكليب ، زعيم تغلب - ويقال له كليب وائل ، وكان يضرب به المثل في العزة والمنعة ، فيقال:
« أعز من كليب وائل » - حتى لا يجرؤ أحد على استباحته ، بل كان يجير الوحش والطير فلا
يتعرض أحد لصيده ، حتى لقبوه بجير الطير ، فنشرت ناقة لامرأة من بكم تدعى « البسوس » ،
كانت نازلة عند أخت لها متزوجة في بكر ، فدخلت حمى كليب وقيل انها كسرت بيض حمامة
هناك ، فرأها كليب فرماها « أي الناقة » بسهم فقتلها ، فذهبت البسوس الى بكر شاكية باكية ،
فخرج ابن اختها « جساس بن مرة » الى كليب فجأه وقتله ، فقام أخو كليب « عدي » ،
الفارس الشاعر المشهور باسم « المهلهل » بالثأر له ، واتصلت المعارك بين تغلب وبكر عشرات
السنين ، بسبب ناقة .. البسوس .
وكان جساس قاتل كليب ، من بني شيبان ، ولم تنصره قبائل بكر أول الأمر ، لظلمه ، ثم
تجمعت ضد تغلب ، بعد أن كثرت بغيها ...

فمن إياهم التي ورد ذكرها في شعرهم :

« يوم القصيم »

قال زيد الحيل الطائي :

(ونحن الجالبون سباء عبس الى الجبلين من أهل « القصيم »
فكان رواحها للحي كعب وكانت غدوها لبني هيم)
وقيل في القصيم ذماً :

ان القصيم بلاد عمه أنكد ، أفنى أمة فامة !

« يوم فلج »

وقال القعيف :

سلوا « فلج الأفلاج » عنا وعنكم وأكمة اذ سالت مرارتها دما

« يوم ملهم »

وقال داود بن متهم :

ويوم أبي حر (ملهم) لم يكن ليقطع حتى يدرك الزحل ثائرة
لدى جدول النيرين حتى تفجرت عليه فخور القوم واحمر حائره

✱

ومما قيل في بعض بلدان نجد وأمكنتها :

لعمرى لنور الأفحوان « بمائل » ونور الخزامى في آلاء وعرفج
أحب إلينا يا حميد بن مالك من الورد والخيري ودهن البنفسج

وقال جرير :

أنظر خليلي بأعلى « ثمداء » ضحى والعيس جائلة أعراضها جنف
وقال ذو الرمة :

أيا ظبية الوعاء بين « جلاجل » وبين النقا ، آنت أم أم سالم ؟
وقال ابن دريد :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازل عفا (الرس) منه و (الريس) فعاقله
وقال شاعر :

يضربن بالأحفاف قاع « الحرج » وهن في أمية وهرج
ويقول شاعر في أثفية - أثبة اليوم - وكان يقال لها أثفية وأثفيات وذات
الأثافي :

دعونا قلوبنا بأثفيات وألقنا قلائص بعثلينا

وقال عقبة بن سوداء :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق وربيع خلا بين (الليل) و (فادق)
وقال امرؤ القيس :

تراءت لنا يوماً بسفع عنيزة وقد حان منها رحلة وقلوص

وقال جرير :

ان الفؤاد مع الذين تحملوا لم ينظروا بعنيزة الاشراقاً^(١)

١ - أكثر هذه الأبيات في « معجم البلدان » لياقوت .

السموأل والطائي

واذا اعتبرنا بلاد طيء - جبل ثمر - من نجد ، وهي كذلك ، فيجب أن نضيف الى شعراء نجد في الجاهلية : اسمي حاتم الطائي ، والسموأل بن عاديا ، وهما من هما في الوفاء والكرم ، الى شاعريتهما .

وكان بين فرسان العرب وحكامها وكهانها عدد غير قليل من سكان نجد .

ولكن العرب يومئذ لم يكونوا ينتمون الى البلاد ، وإنما ينتمون الى القبائل ؛ ولم نسق هذه الأمثلة إلا تبديداً للوهم العالق ببعض الأذهان .. من أن « نجداً » كانت تعيش ، لبدائها وبعدها ، على هامش الحياة العربية ، مع أنها كانت في صميمها ، وكانت تحمل مثل غيرها بل أكثر : ألوية الشعر ، والفروسية ، والكرم .

أسماء ولاية اليمامة

قدمنا « ملازم » الكتاب بعد الفراغ من طبعها ، وقبل جمعها وتجليدها ، الى العلامة الكبير ، الأستاذ حمد الجاسر ، لينظر فيها ، ففعل ، وقلطف باعطائنا « قائمة » أعدّها لنفسه بأسماء ولاية اليمامة في العهدين الأموي والعباسي ، وأذن لنا بنشرها في كتابنا ، وها نحن نفعل شاكرين له فضله ، وقد ذكرنا في الصفحة ٢٨ من كتابنا أسماء عدد من ولاية اليمامة ، لم ترد في قائمة الجاسر .

قائمة ولاية اليمامة للاستاذ الجاسر

١ - في العهد الأموي

- ١ - في عهد عبد الملك : ابراهيم بن عربي .
- ٢ - في عهد الوليد : اقر ابراهيم بن عربي على ولايته .
- ٣ - في عهد سليمان بن عبد الملك : سفيان بن عمرو العقيلي ثم نوح بن هيرة .
- ٤ - في عهد عمر بن عبد العزيز : زرارة بن عبد الرحمن .
- ٥ - في عهد يزيد بن عبد الملك : رد عليها ابراهيم بن عربي .
- ٦ - في عهد هشام : ابراهيم بن عربي ثم المهاجرين ابن عبد الله الكلبي ثم ابنه علي .

- ٧ - في عهد الوليد : علي بن المهاجر ثم حدثت ثورة داخلية فغلب على اليمامة المهشتر بن سُلَيْمِي الحنفي ، وبعده عبد الله بن النعمان .
- ٨ - في عهد مروان بن محمد : يزيد بن هبيرة وقتله جيش بني العباس .

٢ - عهد بني العباس

- ١ - داوود بن علي بن عبد الله بن العباس .
- ٢ - زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح .
- ٣ - السري بن عبد الله بن الحارث .
- ٤ - قثم بن العباس .
- ٥ - الفضل بن صالح .
- ٦ - جعفر بن سليمان .
- ٧ - عبد الله بن مصعب الزبيري .
- وحدثت ثورة في البلاد عزلتها عن الخلافة برهة .
- ٨ - سويد القائد الحراساني .
- ٩ - محمد بن سليمان بن علي .
- ثم اثناء الخلاف بين الأمين والمأمون استولى طاهر بن الحسين على اليمامة .
- ١٠ - وفي عهد المأمون داوود بن منجور
- ١١ - اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب في عهد المعتز
- ١٢ - محمد ابو عون
- ١٣ - وفي عهد الموفق سعيد بن صالح الحاجب وبعده يارجوج
- ١٤ - اسندت ولاية اليمامة الى موسى بن بَغَا فولاهما عبد الرحمن بن مفلح .
- ١٥ - وفي عهد المعتضد عباس بن عمرو القنوي
- ١٦ - وفي عهد الراضي استولى عليها القرامطة وانفصلت عن الخلافة منذ ذلك العهد .

ملاحظات الشيخ محمد الجاسر

قدمنا « ملازم » الكتاب ، بعد الفراغ من طبعها وقبل جمعها ونجليدها ، إلى العلامة الكبير ، الأستاذ محمد الجاسر ، لينظر فيها ، ففعل ، وتلطف مشكوراً بكتابة هذه الملاحظات (وسند كر نحن رأينا في ملاحظاته في الهوامش) :

الملاحظة الأولى

جاء في الصفحة (٣٧) ، في وصف أهل نجد : « أهملوا القرآن وما عادوا يعرفون في أي جهة تقع القبلة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج » .

هذا الوصف غير صحيح !

إن نجداً منذ أن انتشر فيها الاسلام بعد وقعة البامة بقيت محافظة على التمسك بالدين والتقيّد بتعاليمه ، حتى انتشر الجهل في القرون الأخيرة وامتزجت في الدين عادات سيئة ليست منه من الحرافات وتقليد القبور .

ولما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، بالدعوة إلى تعاليم الدين الصحيحة والرجوع إلى ما كان عليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه والصدر الأول من الأمة عارضه من عارض اعتقاداً منهم ان ما يفعلون من دعاء الأموات هو من الدين ، وكان الخلاف بين الشيخ رحمه الله وبين مخالفه على أساس التوحيد أما بقية أعمال الاسلام فانه لم يعارضه أحد بشأنها .

وعند قيام الشيخ وقبله كان في نجد عدد من العلماء الذين كانوا يتلقون العلم في

البلاد الاسلامية في مصر والشام والهند وغيرها منهم :
الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب المشرقي قاضي العيينة (توفي في ١١٢٥) .
والشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب قاضي العيينة سنة ١٠٣٩ .
والشيخ حمد بن براهيم بن حمد بن عبد الوهاب الذي صاهر الشيخ محمد ابن
عبد الوهاب الامام المجدد وتزوج ابنته وانتقل عنده الى الدرعية (توفي ١١٩٤) .
ومن علماء نجد الشيخ عثمان بن حمد بن قائد (توفي ١٠٩٩) وله مؤلفات منها
شرح العمدة وحاشيته على المنتهى ، وكتاب التوحيد ونجاة الخلف في اعتقاد السلف
وقد درس في الشام ومصر .

والشيخ محمد بن أحمد بن سمعيل في أشير (توفي ١٠٥٨) .
والشيخ محمد بن عبد الله بن اسماعيل (توفي ١١٠٩) من أشير أيضاً .
والشيخ أحمد بن ناصر بن محمد بن ناصر المشرقي قاضي الرياض (توفي ١٠٤٩)
والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان الخالدي قاضي الرياض (توفي ١٠٩٩) .
والشيخ أحمد بن محمد المنقور مؤلف المجموع وقاضي سدير (توفي ١١٢٥) .
والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير من أشير (توفي ١١١٤) .
هؤلاء لهم آثار في الفقه الحنبلي ، وبعضهم صلات قوية بعلماء الشام ومصر مثل
الشيخ ابن العماد ، والشيخ مرعي الكرمي ، والشيخ الحجاوي ، والشيخ أحمد
ابن النجار ، والشيخ منصور البهوتي وغيرهم من العلماء .
وهناك علماء من أهل نجد غلب عليهم الشقاء فعارضوا الدعوة الإصلاحية التي
دعا اليها الشيخ أمثال راشد بن خنين قاضي الحرج ومحمد بن سلوم وأحمد بن فيروز
ابن بسام والمويس وغيرهم من العلماء الذين لهم آثار في العلم إلا أنهم من حيث
العقيدة من مخالفي الطريقة السلفية الصحيحة .

ردنا : إن كلام الاستاذ الجاسر إنما ينصرف إلى قول نقلناه عن بلغريف ، لا
نؤاخذ به ، وقد قلنا رأينا في كلمتنا المذكورة في نوطه الكتاب ، فليرجع إليها .
وعلى كل حال ، ففي استعراض أسماء هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الجاسر نفع
غير قليل .

الملاحظة الثانية

جاء في الصفحة ٢٨ : (من أمراء اليمامة أبو حفصة من قبل مراون ، ومروان ابن أبي الجنوب) .

وفي عهد مروان بن الحكم ، لما كان خليفة ، كانت اليمامة خارجة عن حكمه ، تحت حكم ابن الزبير وقد تولى مروان المدينة في عهد معاوية ، وقد تكون اليمامة في ذلك العهد مضافة اليه ولكن لم ار فيها اطلعت عليه نصا يدل على ولاية ابن حفصة والذي رأيت هو ان عبد الملك ارسل ابا حفصة ليكون على بيت المال في اليمامة وارسل ابراهيم بن عربي ليكون والياً ، وهذان الرجلان لها يد على مروان عند وقعة الدار ولهما اثر كبير في حوادث اليمامة فقد استوطنت ذرية ابي حفصة اليمامة من عهد عبد الملك وبقيت معروفة بما نبغ منها من شعراء منهم مروان بن ابي الجنوب الذي لم ار من نص على توليه اليمامة مع شهرته وكثرة ذكره هو وآله .

ردنا : ولاية ابي حفصة أخذناها عن الأغاني ، وليس هذا الكتاب تحت يدنا لندل على الصفحة التي ذكر فيها الخبر .

أما ولاية مروان بن أبي الجنوب ، فوجدنا بين أوراقنا قطعة منقولة عن «معجم الأدباء» وهذا نصها :

« .. عقد المتوكل لأولاده الثلاثة ، فدخل « مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة » ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

« بيضاء في وجنتها ورد ، فكيف لنا بشمه ؟ »

فسر المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً ، وأمر فنثر عليه بدرة دنانير .. وأمره بالجلوس ، وعقد له على اليمامة والبحرين . »

ملاحظات أخرى

وذكر الاستاذ الجاسر ملاحظات أخرى قيمة ، تؤيد أقوالنا في الكتاب ولا

تتفحصها ، كقولها إن ابن بشر ، كتب في النسخة الثانية من كتابه ، أن ما ذكره في النسخة الأولى (عن أمر ابن معمر تقبل الشيخ ، غير صحيح . ويقول الشيخ الجاسر إن ما ذكر عن وجود قرية في القطيف باسم (الدوعية) إنما كان الاعتماد فيه على مصدر واحد ..

ويقول إن آل مشرف طارئين على العينة ، وأصلهم من بلدة أشقر . ونحن لم نقل إنهم معرقون في العينة ، ولكننا قلنا إنهم كانوا أسرة الزعامة الدينية فيها ، بسبب إقامة سليمان بن علي وابنه عبد الوهاب فيها مع أسرهما . ويقول أن بعض علماء نجد كانوا يعرفون التوحيد ، مثل الشيخ ، ولكنهم لم يقوموا بمثل عمله ، كالشيخ عثمان بن أحمد ، صاحب كتاب « نجاة الخلف في اعتقاد السلف » وقد ذكرنا نحن أيضاً اسم هذا الشيخ ، نقلاً عن صلاح العقاد ، الذي زعم أن كتابه مفقود ، ويقول الجاسر إن كتابه موجود الآن في القاهرة .

وينكر الأستاذ ما جاء في كتابنا من أن الشيخ أمر بخلق حية رجل ، وهي رواية للمع الشهاب ، لا نستطيع تغييرها ، ويقول إن الوهابيين لا يخالفون ابن تيمية إلا في مسألة طلاق الثلاث ، ورأيه كراهم في الوقف والنذر (وقد جاء ذلك في نص لشيخ عبد الله أوردناه في الصفحة ٢٣٩) .

ويقول أيضاً نقلاً عن كتاب مختصر تاريخ الكنيسة إنه كان في قطر أسقفية تشمل نجران واليمامة ، رداً على ما نقلناه عن المعجم الكنسي الفرنسي من أن المسيحية تسربت إلى نجد في القرن السادس الميلادي (صفحة ٢٢) والمعجم الكنسي يعني بالمسيحية ، على الأرجح ، الكنيسة الكاثوليكية ، ثم هو يعني وجود أعداد من المسيحيين تستحق الذكر ؛ وليس أحد هذين الكتائين أولى من الثاني بالتصديق !

ونحن ، على كل حال ، نشكر للأستاذ الجليل فضله الكبير ، وتقديره له الغزير ، وقد حرصنا على نشر ملاحظاته القيمة ، وإضافاته المهمة ، وتصويباته ، وهو في علمه وخلقه خير ناصح ومعين .